عما به فحكى الصبى ما يعتمل بصدره ، فطيَّب الرجل خاطره وأخبره أنه يُعِدُّه ليكون زوجاً لابنته ويطلق يده فى ورشته . لكن الفتى لم يهدأ وينتظر واستجاب لنصيحة صديق له يعمل بالبحر حكى له عما يدره العمل بالسفر والبحر من مال وفير ، فقرر أن يصاحبه ويترك أخته وحيدة . ومع أنها حاولت أن تُبقى أخاها فى جوارها بالتوسل والبكاء لم تستطع أن تثنيه عما انتوى . وبعد أن التحق بإحدى السفن بحّاراً ، وصلت السفينة إلى ميناء يسمى «برموث » وهناك تاجر « يعقوب » وكسب مالاً وبدأ النجاح يجذبه إلى نجاح أكثر ، وأطمعه الكسب فى المغامرة والاستهانة بمخاطر البحر ، ويستمر يعقوب فى سرد حكايته فيروى أنه ترك بعض ماله مع زوجة القبطان أمانة حتى يعود وتاجر بجزء منه وفقده فى إحدى ثورات البحر وغرق السفينة والبحارة ونجاته بأعجوبة بعد سباحة صعبة ألقت به الأمواج إلى أحد الشواطئ . وبدأ يكيف حياته بما ألقت بإحدى الجزر إليه الأمواج من حطام السفينة وهى براميل الخبز والبقسماط وألواح الخشب والبارود ، فصنع لنفسه مسكناً وحصَّنه وعاش أسبوعين لا يرى أحداً ولا يراه أحد . وبدأ يتأمل العالم المحيط به فرأى طيراً تحلق فوقه فأدرك أن أسباب الحياة قريبة منه فاتجه نحوها . كانت غابة يسكنها قوم سود الوجوه والملابس والتقطوه وتحدث إليهم بما أسعفته قريحته من إشارات عما حدث لسفينته فأخذوه معهم وأقام فى ديارهم